

# آخر معارك السلطة في مصر

القاهرة - محمد شمير

المعركة الرئيسية التي تخوضها مؤسسات السلطة في مصر، هي «تهذيب المواطن». انشغال السلطة بالتهذيب تجاوز مسألة الإعلانات والبرامج، إلى تشريع قوانين هدفها ليس إعلان «ممنوع التفكير»... بل ممنوع الهمس. ولا تتوانى مؤسسات الدولة في المسارعة إلى إصدار قوانين هدفها المزيد من القمع والتكئيل، والمزيد من الهيمنة والمكتسبات!

الأسبوع الماضي، أعلن الأزهر الانتهاء من مشروع قانون جديد بعنوان «مكافحة الكراهية والعنف باسم الدين». يأتي القانون في إطار المطالبات المستمرة بتولي المؤسسة الدينية - يحلو لبعضهم

يجوز الاحتجاج بحرية الرأي والتعبير والنشر والإبداع لنقد الأديان أو القيام بعمل ينطوي على ما يخالف أحكام القانون». حسب الدكتور صلاح فضل، سترتب على هذا القانون «منع أي تشكيك في مفاهيم الجهاد ودار الحرب والإسلام وإباحة القتل وسفك الدماء، والحث عليها باسم الدين كما تفعل الجماعات الإرهابية لأنها من المسلمات الدينية عندهم». ثم إن التوسع في نصوص الحظر مثل «لا يجوز طرح المسائل العقائدية محل الخلاف أو التعارض للنقاش العلني في وسائل الإعلام» و«حظر امتهان الأديان أو التعدي على أي من الكتب السماوية بالتغيير أو الإتياف أو التدنيس»، و«حظر نشر الصور والحوارات والمواد الإعلامية إذا كانت تحض على الكراهية أو تعمقها» أمر يثير التساؤلات، لأنها كلمات مطاطة غير محددة

وصفها بالوسطية - مهمة تجديد الخطاب الديني، وربما لأنه يصعب عليها إنجاز ذلك، قررت المزيدة على الجميع بقانون يمنع الهمس. لم يمنع قانون الأزهر عمليات التكفير العشوائي، أو استخدام الدين في القتل باسم الله، بل جاءت مواده شديدة التعميم والتجريد، مما يمتد إلى الحقوق الأساسية التي أقرتها المواثيق الدولية، من بينها «حرية العقيدة». إذ نصت مادته الأولى على «منع التطاول على الذات الإلهية والأنبياء والمرسلين والكتب السماوية تصريحاً أو تعريضاً أو مساساً أو سخرية» من دون تحديد مفهوم «التطاول»، مما قد يمنع بذلك مثلاً أي دراسة «أكاديمية» عن النصوص الدينية، ويمنح القانون نفسه حصانة ضد النقد ومبادئ الدستور أو المواثيق الدولية التي وقعت عليها مصر. وتنص مادته الرابعة على أنه «لا

## الأزهر: من عداء الوهابية إلى مجاملة السعودية

القاهرة - محدث صفوت

عقب 30 حزيران (يونيو) 2013، بدأت السياسة المصرية في تأدية دور التابع في علاقتها بالسعودية، ليجر الموقف بظلاله على المؤسسة الدينية الرسمية (الأزهر) ومواقفها التي بدت مجاملة للمملكة الوهابية! تشير الحوادث في مصر خلال الفترة الماضية، إلى تقلص مساحات التجديد في الخطاب الديني، واتجاه الأزهر إلى الإطاحة بأي محاولة «عصرية» لفهم التراث خارج سياق المشيخة والتأسيس، رغم تداول مفهوم «التجديد» بكتافة بين النخب المصرية المختلفة، دينية وغير دينية. وخلال ندوات تجديد الخطاب التي تعقدها المشيخة، تسيطر لغة العنف والإقصاء، وتتفشى اتهامات التواطؤ ضد الدين، وإقصاء الآخر وإلقاء التهم بمعاداة الدين والسعي إلى هدمه، و«نشر دين جديد» بتعبير وكيل مشيخة الأزهر عباس شويمان.

### الإطاحة بأي محاولة «عصرية» لفهم التراث خارج سياق المشيخة

بتعبير المصريين، «الرُّز» الدال على أموال النفط التي تدفقت على مصر مع بداية فترة رئاسة عبد الفتاح السيسي، يلاحظ تأثير الرز السعودي على مواقف مؤسسة الأزهر وشيخها أحمد الطيب، عبر تبني مواقف ووجهات نظر سلفية، كان الأزهر يرفضها في الماضي. إذ نشهد في السنوات الأخيرة تقارباً أزهرياً وهابياً، وصل حد لقاءات جمعت بين رموز الأزهر وقيادات الدعوة السلفية في مصر، وإغلاق مسجد الحسين في وجه المتصوفين خلال احتفالات عاشوراء بزعم منع «الشيعية» من ممارسة اللطمات! لكن العلاقة بين الدولة والجماعات السلفية، ليست «سمناً على عسل» دوماً. تلعب الأجهزة الرسمية مع السلفيين لعبة العصى والجزرة. في الوقت الذي يترك الأزهر مساحة للتقارب، تمنع وزارة الأوقاف قيادات الدعوة السلفية من الخطابة بحجة عدم دراستهم الأزهرية، مما أسفر عن منع أغلب السلفيين في مصر من اعتلاء المنابر.

الأزهر الذي يتسمح دوماً في ما يسميه بـ «الوسطية»، عمل خطابه الرسمي خلال السنوات الأخيرة على إزكاء الطائفية وتجذير التطرف، وكان بعيداً عن مفاهيم المواطنة بل عاذاها أحياناً، ولم يرقم الخطاب ولا منشؤه بالدعوة إلى الخروج من أزمتنا الحقيقية، المتمثلة في وجود

على أن السلفيين الذين يفسقون الفرق الإسلامية الأخرى هم «غلاة الحنابلة»، ولا يمتون للسلف الصالح بصلة. بيد أن الرجل الذي رفض تفسير الفرق الإسلامية، ويميل إلى خطاب «تلطيف الأجواء» في أحيان كثيرة، يتبنى أحياناً مواقف «رافضة» في أقلها وتكفيرية في جوهرها، إزاء اتباع المذهب الشيعي. نذكر مثلاً قيام «مجلة الأزهر» - وقت كان يشرف عليها محمد عمارة - بإعادة طبع كتاب «الخطوط العريضة لدين الشيعة» لمح الدين الخطيب، في تشرين الأول (أكتوبر) 2012، بعدما مر أكثر من ستين عاماً على طبعته الأولى. احتوت الطبعة الجديدة التي وزعت كهدية مجانية مع المجلة، على دراسة وتقديم لعمارة نفسه، علماً أن تكفير الشيعة لدى الوهابية يتخذ منحى واضحاً ومعلن، نظراً إلى السياق السياسي والاجتماعي الذي يسمح بذلك ويغذيه أحياناً، في ضوء الصراع الإقليمي بين إيران والنظم الحاكمة في الخليج وغيرها من النظم التي تحكم دولاً عربية ذات أغلبية سنية أبرزها مصر. وحسبما تكون حدة الصراع تكون نبرة التكفير والإقصاء والرفض.

الإنسان في أنساق غير إنسانية، والعمل على إيجاد مناخ ديمقراطي حقيقي مرتبط بمشروع ثقافي. إرضاء للسعودية، توقف الأزهر وشيخه عن نقد الوهابية. شيخ الأزهر أحمد الطيب كان دائم الهجوم عليها وقت توليه رئاسة جامعة الأزهر (2003-2010) وعرف عنه دفاع «الشرس» عن الأشعرية (المذهب العقائدي الرسمي للمشيخة)، وسبق أيضاً أن أوضح أن الأزهر الحقيقي لا يمكن أن يقع في «فخ السلفيين»، مشيراً إلى أن بعض الأزهريين ضعاف التأسيس العلمي وقعوا في الفخ، وأن الأخيرة ليست مذهباً، وأن كلمة السلف بصيغتها لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة وجاءت مذمومة، مشدداً

